

المحاضرة الثالثة

الحديث الثاني : حديث (الدين النصيحة)

• عن تميم الداري: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الدين النصيحة))، قلنا: لمن؟ قال: ((الله، وكتابه، ورسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم))؛ رواه مسلم.

ترجمة راوي الحديث:

هو تميم بن أوس بن خارجة بن سود أو سواد بن خزيمة بن ذراع بن عدي بن الدار، يكنى: أبا رقية، بابنته رقية، لم يولد له.

المعنى العام للحديث:

(الدين النصيحة): النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه؛ أي: سدَّ خلَّه، وقيل: مأخوذة من نصحت العسل، إذا صفيته من الشمع. وقصرُ الدِّينِ على النصيحة في حديث الباب المقصود منه بيان أن عمود الدين وقوامه النصيحة.

فوائد الحديث:

الفائدة الأولى:

الحديث فيه بيان عظم شأن النصيحة بين المسلمين؛ حيث جعل النبي عليه الصلاة والسلام الدين هو النصيحة، وقصر الدين على النصيحة، وهذا من المبالغة لبيان أهمية النصيحة في الدين، والمراد - كما تقدم - أن عمود الدين وقوامه النصيحة. قال النووي: "هذا حديث عظيم الشأن، وعليه مدار الإسلام، وأما ما قاله جماعات من العلماء: إنه أحد أرباع الإسلام - أحد الأحاديث الأربعة التي تجمع الإسلام - فليس كما قالوه، بل المدار على هذا وحده"؛ [انظر: المرجع السابق].

الفائدة الثانية: الحديث فيه بيان لمن يجب أن تكون النصيحة، وهي كما يلي:

• (الله): والنصيحة لله: معناها الإيمان به سبحانه، ونفي الشريك عنه، ووصفه بصفات الكمال والجلال، وتنزيهه عن جميع النقائص، والقيام بطاعته واجتناب معصيته.

• (ولكتابه): النصيحة لكتابه: هي الإيمان بأنه كلام الله تعالى، لا يُشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر على مثله أحدٌ من الخلق، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته، وإقامة حروفه وحدوده وتدبره، والوقوف مع أحكامه وامتنالها، ومواعظه والاعتبار بها.

• (ولرسوله): والنصيحة لرسوله: تصديقه على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه، ونصرته حياً وميتاً، ومعاداة من عاداه، وموالاة من وآلاه، وإحياء طريقته وسنته، والدعوة إليها، والتخلق بأخلاقه وآدابه، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع في سنته.

• (ولأئمة المسلمين): واختلف في المراد بهم، فقيل: هم أئمة الإمارة، وهم الملوك والأمراء والولاة الذين على الناس، وقيل: هم أئمة العلم، وهم العلماء، وكلا المعنيين مراد

والنصيحة لهم تكون بمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتذكيرهم وتببيههم برفق وحكمة، وإعلامهم بما يجب عليهم للمسلمين فيما غفلوا عنه، وترك الخروج على الولاة، وتأليف قلوب المسلمين لطاعتهم بالحق؛ لأنه لا طاعة لهم في معصية الخالق.

• (وعامتهم): والنصيحة لعامة الناس تكون بإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم وديانهم، وكف الأذى عنهم، وتعليمهم ما جهلونه من دينهم، والشفقة عليهم، وستر عوراتهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتخولهم بالموعظة الحسنة، وإعطائهم ما ينبغي لهم من المعروف عامة، وضابط النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم: أن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من الشر؛ لأن في هذا الضابط تمام الإخلاص، وتمام المحبة. الفائدة الثالثة:

الحديث دليل على أن النصيحة لأئمة المسلمين أهم وأولى من النصيحة لعامتهم؛ ولذلك قدمت في الحديث؛ لأن الأئمة نفعهم وكذلك ضرهم متعد؛ فبصلاحهم يصلح من تحتهم، وبفسادهم يفسدون. واعلم أن النصيحة على وجه العموم لها آداب، منها:

أولاً: الإخلاص في النصيحة، فلا ينبغي للناصح أن يكون قصده من النصيحة إظهار راحة عقله، أو قوة محبته، أو فضح المنصوح والتشهير به، بل يكون قصد الناصح الإصلاح والنصيحة، لا الفضيحة، ولا ينرجب رسالة قيمة اسمها: (الفرق بين النصيحة والتعيير).

ثانياً: عدم كتم النصيحة، بل من الحقوق بين المسلمين التناصح، وعدم كتمها؛ لأن المؤمن مرآة أخيه، وروى مسلم في صحيحه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((حق المسلم على المسلم ستاً))، وذكر منها: ((وإذا استنصحتك، فانصت له)).

ثالثاً: أن تكون النصيحة بأسلوب مناسب، فلا غلظة ولا قسوة وجفاء، بل بحكمة، وحسن تعامل، ودخول مناسب على المنصوح؛ قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

رابعاً: أن تكون النصيحة في السر؛ لأن النصيحة في العلانية فضيحة، وأدعى لعدم قبول المنصوح، وما أجمل ما قال الشافعي:

تعمدني بنصحك في انفرادي
وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع
من التوبيخ لا أرضى استماعه